رسالة مختصرة بعنوان :

الرد المحكم المتين على شبهة أن النجاشي لم يحكم بشريعة رب العالمين

الراجي عفو ربه

د. عبد الله القرشي الشامي

1437هـ

وقف لله تعالى

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له ,ومن يضلل فلا هادى له, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم –

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ [آل عمران : 102]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً [النساء : 1]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (71) الأحزاب

وبعـد :

مرضان خطيران ينتشران في الناس انتشار النار في الهشيم , خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن نعوذ بالله من الضلال ونسأل الله الثبات حتى الممات , وهذان المرضان هما :

(مرض الشبهات – ومرض الشهوات)

ومنشأ هذان المرضان بسبب التفريط في طاعة الله – عز وجل – وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم

وأخطر هذين المرضين هو : مرض الشبهات

يقول ابن القيم – رحمه الله – : الْمَرَضُ نَوْعَانِ مَرَضُ الْقُلُوبِ وَمَرَضُ الْأَبَدَانِ وَهُمَا مَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ .

وَمَرَضُ الْقُلُوبِ نَوْعَانِ : مَرَضُ شُبْهَةٍ وَشَكّ وَمَرَضُ شَهْوَةٍ وَغَيّ وَكِلَاهُمَا فِي الْقُرْآنِ .

قَالَ تَعَالَى فِي مَرَضِ الشّبْهَةِ : { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضًا } [الْبَقَرَةُ 10]

وَقَالَ تَعَالَى : { وَلِيَقُولَ الّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّهُ بِهَذَا مَثَلًا } [الْمُدّثّرُ 31]

وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقّ مَنْ دُعِيَ إلَى تَحْكِيمِ الْقُرْآنِ وَالسّنّةِ فَأَبَى وَأَعْرَضَ : { وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ } [النّورُ 48 و 49] فَهَذَا مَرَضُ الشّبُهَاتِ وَالشّكُوكِ.

فَقَالَ تَعَالَى : { يَا نِسَاءَ النّبِيّ لَسْتُنّ كَأَحَدٍ مِنَ النّسَاءِ إِنِ اتّقَيْتُنّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } [الْأَحْزَابُ 32] . فَهَذَا مَرَضُ شَهْوَةِ الزّنَى وَاَللّهُ أَعْلَمُ ". (زاد المعاد ج5ص8)

وأخطر ما في مرض الشبهات : أن أهل الشبهات يزدادون ضلالاً عندما يصلهم الحق , ويرفضون اتباعه.

ومن المعلوم أن الإنسان إذا فتن فإنه يعمى عن الحق، ويفتح عينيه على الباطل، ويصبح قابلاً لما يهواه، ومبغضاً لمن ينهاه عما هو فيه، غير قابل له؛ ولهذا أخبرنا ربنا جل وعلا أننا إذا رأينا الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله أن نحذرهم، وأخبرنا ربنا جل وعلا أنه أنزل { آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } [آل عمران:7]

وقد جاء النص عن – النبي صلى الله عليه وسلم –كما في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها– أنه قال: (إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم)

كما أنه جل وعلا أخبرنا أن الذي في قلبه مرض الشبهات فإن الحق لا يزيده إلا ضلالاً ويتمادى في الباطل { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا } [البقرة:10]

{ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ } [التوبة:124-125].

إذاً : من كان عنده مرض شبهة فإنه يزداد ببيان الحق وإيضاحه ضلالاً وتمادياً في باطله، وذلك أن الحجة تزداد قياماً عليه، فيستحق من العذاب أكثر؛ ولهذا تجدهم يتعلقون بأمور تافهة، وأمور واهية، بل بأحاديث مكذوبة موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويفرحون بها إذا وجدوها، وقد يجرؤ بعضهم على تصحيحها ويقول : إنها صحيحة، وقد يجرؤ بعضهم على وضع الأسانيد لها كذباً وزوراً، فكيف مقامه أمام الله جل وعلا؟

بل تجدهم يتعلقون ببعض زلات للعلماء لرد الحق الواضح المبين ،وربما يتعلقون كذلك ببعض الكلام المتشابه عند العلماء مع تركهم الواضح المحكم من كلامهم وهذا إن دل إنما يدل على فساد القلوب وإتباع الهوى.

ومثل هؤلاء ليس البيان والإيضاح لهم، البيان والإيضاح يكون لمن يريد الحق، فالذي يلتبس عليه الحق وهو يريد الحق ينتفع بالإيضاح والتبيين، أما من كان قلبه ملبساً بالفتنة وقابلاً لها فإنه لا يزداد بذلك إلا غياً وتمادياً في الباطل.

وإذا انتشر مرض القلب بين الناس انتشر في الأمة وفسدت وهلكت، والأصل في هذا قوله تعالى:" فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله"[آل عمران:7]

وهذا الزيغ إن هو إلا مرض الشبهات التي يلقيها الشيطان في أفئدة القوم من أتباع الهوى،

ولقد قال الفضيل – رحمه الله :" صاحب البدعة لا تأمنه على دينك ولا تشاوره في أمرك ولا تجلس إليه فمن جلس إلى صاحب بدعة ورثه الله العمى" .

وقال عبد الله بن المبارك :" صاحب البدعة على وجهه الظلمة وإن ادهن كل يوم ثلاثين مرة"

وغير هذا كثير مما يدل على تخوف السلف رضوان الله عليهم من تأثرهم بأصحاب البدعة وتسرب أمراضهم إلى قلوبهم، ولهذا كان من منهج كثيرٍ منهم مفارقة أهل البدعة وعدم مجالستهم بل وعدم مناظرتهم إلا للضرورة، وكل ذلك إمعاناً في هجر الوقاية منهم والنكاية بهم.

ولئن بقي عند شاك أو متردد شبهة حول خطورة ظهور هؤلاء في الأمة متوهماً أن السلامة تحصل بمجرد التزام باقي الأمة للصراط المستقيم دون اكتراث بخطر هؤلاء المبتدعة على الأمة بأسرها فليقرأ قوله تعالى:

" وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال : 25]

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في رواية عن ابن عباس في تفسير هذه الآية:" أمر الله المؤمنين أن لا يُقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب، وهذا تفسيرٌ حسنٌ جداً" اهـ تفسير ابن كثير ج 2/ ص300

وأهل الشبهات منذ القديم منذ ظهور الفرق الضالة وهم يفسدون في الأمة ويلقون بين أبنائها الشبهات المنحرفة والتي كانت سببا في رد الكثير من الحق ، وتفرق الأمة من جانب آخر.

وأهل الشبهات لم يتركوا أصلا من أصول الدين إلا ووضعوا حوله الشبهات بداية من أمور التوحيد ومسائل الإيمان والكفر إلى غير ذلك .

ومن الأمور التي أثاروا حولها الشبهات مسألة تحكيم الشريعة وحكم الحاكم الذى يحكم بغير ما أنزل الله :

على الرغم من وضوح هذه المسألة نصا في الكتاب والسنة والإجماع ، إلا أن أهل الزيغ تركوا الكتاب والسنة وأخذوا يتلمسون المعاذير للطواغيت المحاربين لدين الله وشرعه الصادين عنه بكل الصور والأشكال ، فأخذوا يبحثون في بعض الحوادث المجملة أو المشتبهة لعلهم يجدون ما يمنحون به الطواغيت إسلاما يناسبهم.

والشبهات التي أثارها المنحرفون حول مسألة الحاكمية كثيرة ومتعددة ، وكلها متهافتة ، ولكن في هذه الصفحات سوف أتعرض لشبهة واحدة فقط للضرورة التي ألجأتني على ذلك ، والسبب في عرض هذه الشبهة : أن بعض الناس ألقى هذه الشبهة بين بعض الأخوة فوجب بيانها نصيحةً وبياناً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وهذه الشبهة هي : أن النجاشي كان يحكم بغير ما أنزل الله ..!

وفى الحقيقة هذه شبهة متهافتة لا ترقي أن تكون دليلاً فضلاً أن يعارض بها المنحرفون إجماع الأمة على كفر المبدل لشرائع الإسلام .

وهؤلاء في الحقيقة يلتقون مع الكفار الذين يرون أن الشريعة ليست صالحة للتطبيق في هذا الزمان من ناحية أن هؤلاء المنحرفين أجازوا للحكام المبدلين لشرع الله أن يحكموا بالقوانين الوضعية وأن ذلك لا يخرجهم من الملة الإسلامية بدليل أن النجاشي وهو حاكم مسلم لم يحكم بما أنزل الله ، والذى يقول بمثل هذا الكلام هو في الحقيقة يحتاج إلى أن يتعرف على الإسلام من جديد ، أقصد الإسلام كما جاء في الكتاب والسنة ، وليس الإسلام الذى يحدثه أمثال هؤلاء.

فمع غياب المفهوم الصحيح الشامل لقضية التوحيد ، غاب هذا المبدأ الكبير الذى هو من أخص خصائص الألوهية ونحى المسلمون – إلا من رحم ربك – شريعة الله جل وعلا وأحلوا محلها القوانين الوضعية الفاجرة , فاستبدلوا بالعبير بعرا وبالثريا ثرى وبالرحيق المختوم حريقا !!

مثلهم كمثل الجعل يتأذى من رائحة المسك والورد والفواح ويسعد بل ويحيا برائحة القذر في المستراح !!

وظن كثير من السذج والبلهاء والمخدوعين أن شرع البشر من ملاحدة وزنادقة وعلمانيين وشيوعين وديمقراطيين وغيرهم ممن تتحكم فيهم الأهواء وتسيطر عليهم الشبهات والشهوات ، ظنوا أن تشريع هؤلاء هو قارب النجاة وسط هذه الرياح الهوجاء والأمواج العاتية والظلمات الحالكة التي يترنح الناس فيها كترنح من يتخبطه الشيطان من المس وخاب الجميع وخسروا !!

" أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ [المائدة : 50]

ومن ذا الذى يجرؤ على ادعاء أنه يشرع للناس ويحكم فيهم خيراً مما يشرع الله لهم ويحكم فيهم ؟ وأية حجة يملك أن يسوقها بين يدي هذا الادعاء العريض ؟ أيستطيع أن يقول : إنه أعلم بالناس من خالق الناس ؟

أيستطيع أن يقول: إنه أرحم بالناس من رب الناس ؟

أيستطيع أن يقول: إنه أعرف بمصالح الناس من إله الناس ؟

أيستطيع أن يقول : إن الله سبحانه وهو يشرع شريعته الأخيرة ويرسل رسوله الأخير ويجعل رسوله خاتم النبيين ، ويجعل رسالته خاتمة الرسالات ، ويجعل شريعته شريعة الأبد ، كان سبحانه يجهل أن أحوالاً ستطرأ وأن حاجات ستجد ، وأن ملابسات ستقع، فلم يحسب حسابها في شريعته أنها كانت خافية عليه – سبحانه – حتى انكشفت للناس في آخر الزمان بعبقرية هؤلاء الجهابذة و البلاعمة المرقعين للطواغيت"؟!

" أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ [المائدة : 50]

فالأصل الذى يجب على البشرية أن ترجع وتفئ إليه هو دين الله وحكم الله منهجه للحياة فإما أن نحتكم إلى الله وإما أن نحتكم إلى الطاغوت وقد أمرنا الله أن نكفر به !!

ويبقى بعد هذا كله الركن الثاني لكلمة التوحيد وهو شهادة أن محمداً رسول الله ، فهي الأخرى ليست مجرد كلمات نرددها ونتغنى بها وننسج لها القصائد والمدائح والأشعار ونقيم لها الحفلات في المناسبات والأعياد ثم ينتهي الأمر عند هذا الحد أيضاً ولا تتحول هذه الشهادة الكريمة في حياتنا إلى واقع وسلوك بل وتجاوز الأمر ذلك فظهر علينا ممن يتكلمون بألسنتنا ويلبسون زينا – من بنى جلدتنا – من يتطاول على سنة إمام الهدى ومصباح الدجى – بأبي هو وأمي – و والله لا يتم إيمان إلا بالإنقياد الكامل والإذعان المطلق لرسول الله– صلى الله عليه وسلم –

" فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً [النساء : 65]

نعم إنه شرط الإسلام وحدَّ الإيمان ، وتقتضى هذه الشهادة الكريمة ، تصديقه – صلى الله عليه وسلم – في كل ما أخبر ، وطاعته في كل ما أمر ، والانتهاء عن كل ما نهى عنه وزجر ، ومحبته صادقة متمثلة في إتباعه واقتفاء أثره والسير على طريقه دون غلو أو إطراء.

" قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [آل عمران : 31]

ومن كمال العبودية لله والمحبة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –أن نميز بين حقوق الله تعالى التي لا يجوز بحال صرفها لغير الله وبين حقوق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهذا هو ديننا المنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم .

الرد على هذه الشبهة

هذه الشبهة أثارها أبو رائد الأردني وشيخه العنبري وذكرها أيضا عمر سليمان الأشقر في رسالة له تحت عنوان «حكم المشاركة في الوزارة والمجالس النيابية " وهذه زلة وقع فيها الشيخ عفا الله عنه ، على الرغم من أن منهجه في كتبه هو منهج أهل السنة والجماعة.

والعجيب أن أصحاب هذه الشبهة لم يذكروا دليلا واحدا يصلح للاحتجاج بل هي الظنون والأوهام ونقلات من كتب التاريخ المليئة بالنصوص الضعيفة والموضوعة ، وصدق القحطاني الأندلسي في نونيته عندما قال " :

لا تقبلن من التـــوارخ

جمع الرواة وخط كلَّ بنـانِ

ارو الحديث المنتقى عن أهله

سيما ذوي الأحلام والأسـنانِ

إن الرد على هذه الشبهة يكون من وجهين : إجمالا وتفصيلا

أولا : الرد الإجمالي :

1- أولا : من المعلوم لدى كل طالب علم أن الأدلة الشرعية التي يتدين بها هي الكتاب والسنة وإجماع الأمة والقياس الصحيح المنضبط مما هو معلوم ومقرر في كتب السلف ومن سار على هديهم من علماء الخلف ، وبالتالي فلا اعتبار بأي قول لا يدل عليه دليل شرعي ، وبالتالي وجوب رد ما خالف الكتاب والسنة.

فإذا كان الأمر كذلك : فالذين قالوا بأن النجاشي لم يحكم بما أنزل الله على الرغم من أن النبي حكم له بالإسلام وصلى عليه ، ليس معهم إلا الظنون والأوهام .

فيلزم المحتج بهذه الشبهة المتهافتة قبل كلِّ شيءٍ أن يثبت لنا بنصٍ صحيحٍ صريحٍ قطعي الدلالة أنَّ النجاشي لم يحكم بما أنزل الله بعد إسلامه.. فقد تتبعتُ أقاويلهم من أولها إلى أخرها.. فما وجدتُ في جعبتهم إلا استنباطات ومزاعم جوفاء لا يدعمُها دليلٌ صحيحٌ ولا برهانٌ صادقٌ، وقد قال تعالى: {قل هاتوا بُرهانكم إن كنتم صادقين} [البقرة: 111].

فإذا لم يأتوا بالبرهان على ذلك فليسوا من الصادقين بل هم من الكاذبين..

2- ثانيا : يقال لأصحاب هذه الشبهة : كلام أهل العلم يستدل له وليس به ..!

فمن المعلوم أن كلام أهل العلم مهما بلغوا من الرتبة والمنزلة في العلم والفضل لا يرقي أن يكون دليلا شرعيا بذاته ! فكلامهم رحمهم الله يستدل له لا به ! وهذا مما ينبغي أن يكون معلومًا خاصة عند الاحتجاج والمعارضة .

"قال الشافعي – رحمه الله : أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد .

وقال مالك – رحمه الله: ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم.

وقال الإمام أحمد عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله يقول : "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (النور: من الآية63).

وقال صاحب الهداية في روضة العلماء إنه قيل لأبي حنيفة : إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه قال اتركوا قولي بكتاب الله فقيل إذا كان خبر الرسول يخالفه قال اتركوا قولي لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم. فقيل له إذا كان قول الصحابي يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابي.

وعن معن بن عيسى قال سمعت مالكاً يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي كل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.

وسأل رجل الإمام الشافعي عن مسألة فقال : يروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال كذا وكذا فقال له السائل يا أبا عبد الله تقول بهذا فارتعد الشافعي واصفر لونه وقال : ويحك وأي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئاً ولم أقل به نعم على الرأس والعين نعم على الرأس والعين0

وقال رحمه الله : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – فقولوا بسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ودعوا ما قلت" اهـ الكواشف الجلية لعبد العزيز السلمان ج2ص80

فقول من يقول عن النجاشي – رحمه الله :

(أنه كان يحكم بغير ما أنزل الله لكنه كان له عذر) لم يثبت بدليل شرعي حتى يحتج به !!!

فمن البديهي عندما يتخذ مثل هذا الكلام دليل " معارضة " يستدل به على كون الحكم بغير ما أنزل الله كفر دون كفر ، أو أنه يجوز الحكم بغير ما أنزل الله كما في قصة النجاشي ،أن نسأل عن ثبوته في الشرع قبل أن نناقشه كدليل !!!

وهذا مما لم يأت به أصحاب الشبهات المتهافتة ، ولذا لا ينبغي أن تعارض أدلة الكتاب والسنة فضلا عن إجماع الأمة بمثل هذا الكلام الذي كما قلت مهما كانت منزلة قائله في العلم والفضل فلا يرقى كلامه ليكون دليلا شرعيا يحتج به فضلا أن يبطل أو يعارض الأدلة الأخرى .

ثانيا : الرد التفصيلي

أصحاب هذه الشبهة استدلوا بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أن النجاشي كان يحكم بغير ما أنزل الله ،على الرغم من أن شيخ الإسلام يحكم بالكفر على من لم يلتزم بالحكم بما أنزل الله ، ولكن القوم كاللصوص يسرقون بعض الأقوال التي يظنون أنها تخدم منهجهم الفاسد ، ويتركون من كلام شيخ الإسلام الواضح المحكم..!

قال شيخ الإسلام : " والحكم بما أنزل الله على محمد – صلى الله عليه وسلم – هو عدل خاص وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها والحكم به واجب على النبي – صلى الله عليه وسلم – وكل من اتبعه ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر..."اه منهاج السنة ج5ص131

وهذا كلام في غاية الوضوح أن من لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر

ثم قال شيخ الإسلام عن النجاشي : "... وكذلك الكفار من بلغته دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – في دار الكفر وعلم أنه رسول الله فآمن به وآمن بما أنزل عليه واتقى الله ما استطاع كما فعل النجاشي وغيره ولم يمكنه الهجرة إلى دار الإسلام ولا التزام جميع شرائع الإسلام لكونه ممنوعا من الهجرة وممنوعا من إظهار دينه وليس عنده من يعلمه جميع شرائع الإسلام فهذا مؤمن من أهل الجنة ...." اه مجموع الفتاوى ج19ص217 ، ومنهاج السنة ج5ص112

وللرد على هذه الشبهة الخبيثة وتفنيدها نقول وبالله تعالى التوفيق:

أولاً: يلزم المحتج بهذه الشبهة المتهافتة قبل كلِّ شيءٍ أن يثبت لنا بنصٍ صحيحٍ صريحٍ قطعي الدلالة أنَّ النجاشي لم يحكم بما أنزل الله بعد إسلامه.. فقد تتبعتُ أقاويلهم من أولها إلى أخرها.. فما وجدتُ في جعبتهم إلا استنباطات ومزاعم جوفاء لا يدعمُه ادليلٌ صحيحٌ ولا برهانٌ صادقٌ، وقد قال تعالى: {قل هاتوا بُرهانكم إن كنتم صادقين} البقرة -111) . فإذا لم يأتوا بالبرهان على ذلك فليسوا من الصادقين بل هم من الكاذبين.. **((كما ذكرنا في الرد الاجمالي))**

ثانياً: إنَّ مِن المسَلَّم به بيننا وبين خصومنا أنَّ النجاشي قد مات قبل اكتمال التشريع.. فهو مات قطعاً قبل نزول قوله تعالى: {اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكمُ الإسلام ديناً...} المائدة – 3). إذ نزلت هذه الآية في حَجة الوداع، والنجاشي مات قبل الفتح بكثير كما ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى وغيره .

فالحكمُ بما أنزل الله تعالى في حقه آنذاك؛ أن يحكم ويتبع ويعمل بما بلغه من الدين، لأن النذارة في مثل هذه الأبواب لابد فيها من بلوغ القرآن قال تعالى: {وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ..} . (الانعام –19)ولم تكن وسائل النقل والاتصال في ذلك الزمان كحالها في هذا الزمان إذ كانت بعض الشرائع لا تصل للمرءِ إلا بعد سنين وربما لا يعلم بها إلا إذا شدَّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم الرحال... فالدينُ ما زال حديثاً والقرآنُ لا زال يتنزل والتشريعُ لم يكتمل... ويدل على ذلك دلالةً واضحة.. ما رواه البخاريُّ وغيره عن عبد الله بن مسعود أنه قال: (كنا نُسلِّم على النبيّ صلى الله عليه وسلم في الصلاة فيرد علينا ،فلما رجعنا من عند النجاشي سلَّمنا عليه، فلم يرد علينا، وقال: إنَّ في الصلاة شغلاً).. فإذا كان الصحابة الذين كانوا عند النجاشي بالحبشة مع العلم أنهم كانوا يعرفون العربية ويتتبعون أخبار النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغهم نسخ الكلام والسلام في الصلاة مع أنَّ الصلاة أمرها ظاهر لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يُصلي بالنّاس خمسَ مراتٍ في اليوم والليلة... فكيف بسائر العبادات والتشريعات والحدود التي لا تتكرر كتكرار الصلاة؟.

فهل يستطيع أحدٌ من هؤلاء الذين يدينون بشرك الديمقراطية اليوم أن يزعم أنه لم يبلغه القرآن والإسلام أو الدين حتى يَقيس باطله بحال النجاشي قبل اكتمال التشريع...؟.

ثالثاً: إذا تقرر هذا فيجب أن يُعلم أنَّ النجاشي قد حكم بما بلغه مما أنزل الله تعالى، ومَنْ زعم خلافَ هذا، فلا سبيل إلى تصديقه وقبول قوله إلا ببرهان {قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}.. وكلُّ ما يذكره المستدلون بقصته يدلُ على أنَّه كان حاكماً بما بلغه مما أنزله الله تعالى آنذاك **والدليل:**

1.فمما كان يجبُ عليه آنذاك من اتباع ما أنزل الله: (تحقيق التوحيد والإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبأنَّ عيسى عبدُالله ورسوله)... وقد فعل. انظر ذلك فيما يستدل به القوم.. رسالته التي بعثها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.. ذكرها عمر سليمان الأشقر في كُتيّبه: (حكم المشاركة في الوزارة والمجالس النيابية) (73).

2.وكذا بيعتَه للنبيّ صلى الله عليه وسلم والهجرة، ففي الرسالة المشار إليها آنفاً يذكر النجاشي: (أنه قد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايع ابنٌ له جعفر وأصحابه وأسلم على يديه لله ربِّ العالمين، وفيها أنه بعثَ إليه بابنه أريحا بن الأصحم ابن أبجر، وقوله: إنْ شئتَ أن آتيك فعلتُ يا رسول الله فإنني أشهدُ أنَّ ما تقولُ حق). فلعلَّه مات بعد ذلك مباشرة، أو لعلَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يُرِدْ منه ذلك آنذاك... كلُّ هذه أمور غير ظاهرة ولا بينة في القصة فلا يحل الجزم بشيء منها والاستدلال به، فضلاً عن أن يُناطح به التوحيد وأصولُ الدين!.

3.وكذا نصرةُ النبي صلى الله عليه وسلم ودينه وأتباعه، فقد نصر النجاشي المهاجرين إليه وآواهم وحقّق لهم الأمن والحماية، ولم يخذلهم أو يُسلمهم لقريش ((كما يفعل طغاتكم اليوم من اعلان الحرب على الموحدين بالتعاون و التنسيق مع أعداء الملة من الصليبيين والملحدين))... ، ولا ترك نصارى الحبشة يتعرضون لهم بسوء رغم أنهم كانوا قد أظهروا معتقدهم الحق في عيسى عليه السلام بل ورد في الرسالة الأخرى التي بعثها إلى النبي صلى الله عليه وسلم (وقد أوردها عمر الأشقر في كتابه المذكور صفحة 73) أنه بعث بابنه ومعه ستون رجلاً من أهل الحبشة إلى النبي صلى الله عليه وسلم... وكلُّ ذلك نصرةً له واتباعاً وتأييداً..

ومع هذا فقد تهوّر عمر الأشقر فجزم في كتابه المذكور [ص73] أنَّ النجاشي لم يحكم بشريعة الله وهذا كما عرفتَ كذبٌ وافتراءٌ على ذلك الموحِّد.. بل الحق أن يُقال إنه حكم بما بلغه مما أنزل الله آنذاك، ومن زعم خلافه فلا يُصدق إلا ببرهانٍ صحيحٍ قطعيّ الدلالة، وإلا كان من الكاذبين {قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين} وهو لم يأتِ على دعواه هذه بدليلٍ صحيحٍ صريح، لكن تتبع واحتطب من كتب التاريخ بليلٍ أموراً ظنها أدلة.. والتواريخ معروفٌ حالها.. ونعيد شعر القحطاني الأندلسي – رحمه الله تعالى – في نونيته:

لا تقبلن من التوارخ كلما جمع الرواة وخط كلَّ بنانِ

ارو الحديث المنتقى عن أهله سيما ذوي الأحلام والأسنانِ

فيقال للمدافعين عن الطواغيت والمشرعين : (أثبتوا العرش ثم انقشوا..).

رابعاً : أن النجاشي كان كافراً ثم أسلم.. وكان يحكم أمة نصرانية .. لم يكن يحكمهم بشرائع الإسلام ثم بدلها إلى شرائع الكفر كما فعل طغاتكم المشرعين المبدلين لحكم الله ..!

خامساً : كان النجاشي كافراً فطرأ عليه الإيمان والإسلام في أواخر حياته وملكه .. بدليل أن الصحابة لم يكن يعلمون بإسلامه لعدم انتشاره وظهوره .. ولولا أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلمهم بإسلامه لما علموا بذلك .

سادسا : كان النجاشي بعيداً عن تعاليم الوحي وأوامره .. بعد الحبشة عن المدينة المنورة .. لا هو يستطيع أن يصل إلى النص الشرعي، ولا ما استجد من مسائل الدين يمكن أن تصله!

سابعا : لا يوجد دليل صريح على أن النجاشي . في الفترة التي آمن فيها, أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر، أو بلغه أمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم خالفه ..!

ثامناً : إنَّ الصورة في قصة النجاشي لحاكم كان كافراً ثم أسلم حديثاً وهو في منصبه، فأظهر صدق إسلامه بالاستسلام الكامل لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأنْ يُرسل إليه ابنه وبرجال من قومه ويبعثُ معهم إليه يستأذنه بالهجرة إليه ويظهرُ نصرتَه ونصرةَ دينه وأتباعه، بل ويظهرُ البراءة مما يُناقضه من معتقد هو معتقد قومه وآبائه... ويُحاول أن يطلب الحق ويتعلم الدين وأن يُسدد ويُقارب إلى أن يلقى الله على هذه الحال وذلك قبل اكتمال التشريع وبلوغه إليه كاملاً... هذه هي الصورة الحقيقية الواردة في الأحاديث والآثار الصحيحة الثابتة في شأنه.. ونحن نتحدى مخالفينا في أن يثبتوا غيرها.. لكن بدليل صريحٍ صحيحٍ أما التواريخ فلا تُسمن ولا تُغني من جوع وحدها دون إسناد...

فهل حكام المسلمين في هذا العصر .. هم هكذا كالنجاشي .. أم أنك تراهم يتسابقون قبل أعداء الأمة الأصليين في اعتقال وتسليم خيرة شباب الأمة للسجون الأمريكية .. وغيرها من سجون الطواغيت الظالمين؟!

هل يستطيع أحدٌ من هؤلاء الذين يدينون للطواغيت بالولاء والطاعة وأنهم ولاة الأمر من المسلمين أن يزعم أنه لم يبلغهم القرآن والإسلام أو الدين حتى يَقيس باطله بحال النجاشي قبل اكتمال التشريع...؟؟؟

وهل كان النجاشي – رحمه الله – من المحاربين لأهل التوحيد الصادين عن دين الله وشرعه ، كما هو حال الطواغيت في هذه الأيام ؟ أم أنه كان من حماة الدين بحماية أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم

وجعلهم في مأمن في بلاد الكفر ؟ على عكس الطواغيت الذين أخافوا دعاة التوحيد بل قاموا بسجنهم وقتلهم بكل الوسائل والطرق..!

قال تعالى : (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (القلم -35-36)

وقال جل وعلا : (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (سورة ص -28)

لأجل هذه الأوجه كلها نقول : لا وجه لقياس طواغيت الحكم المعاصرين المبدلين والمحاربين لشرع الله تعالى على النجاشي رحمه الله ..

وليس لمشايخ الإرجاء في النجاشي دليلاً يبرر لهم جدالهم العقيم عن طواغيت الحكم المبدلين، والمحاربين لشرع الله ..!!

والخلاصة :

الصورة المستدل لها و المقيسة عليه هي صورةٌ خبيثةٌ مختلفةٌ كلَّ الاختلاف، إذ هي صورةُ فِئامٍ من النَّاس (حكام المسلمين) ينتسبون إلى الإسلام دون أن يتبرؤوا مما يُناقضه، بل ينتسبون إليه وإلى ما يُناقضه في الوقت نفسه ويفتخرون بذلك، فما تبرؤوا من دين الديمقراطية كما برِىء النجاشي من دين النصرانية، كلا.. بل ما فتِئُوا يمدحونها ويُثنون عليها ويسوّغونها للنَّاس ويدعونهم إلى الدخول في دينها الفاسد.. ويجعلون من أنفسهم أرباباً وآلهةً يُشرِّعون للنَّاس من الدين ما لم يأذن به الله.. بل ويُشاركون معهم في هذا التشريع الكفري الذي يتمُ وِفقاً لبنود الدستور الوضعي من يتواطأ معهم على دينهم الكفري من نواب أو وزراء أو غيرهم من الشعوب... ويُصِرُّون على هذا الشرك ويتشبثون به بل ويذمون من حاربه أو عارضه أو طعن فيه وسعى لهدمه... وهذا كلُّه بعد اكتمال الدين، وبلوغهم القرآن بل والسنَّة والآثار..

فبالله عليك يا مُنصف كائناً من كُنتَ، أيصحُ أنْ تُقاس هذه الصورةُ الخبيثةُ المنتنةُ المظلمةُ مع ما جمعَتْهُ من الفوارق المتشعّبة.. بصورةِ رجلٍ حديث عهد بالإسلام يطلب الحق ويتحرى نُصرته قبل اكتمال التشريع وبُلوغه إليه كاملاً وبين من يدعي الاسلام ثم يدعو الى دين الديمقراطية بعد اكتمال شرائع الاسلام .. شتان شتان بين الصورتين والحالين.

نعم قد يجتمعان ويستويان لكن ليس في ميزان الحق.. بل في ميزان المطففين ممن طمس الله على أبصارهم فدانوا بدين الديمقراطية المناقضِ للتوحيد والإسلام.

(ويلٌ للمطففين * الذين إذا اكتالوا على النَّاس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون * ألا يظن أُولئك أنهم مبعوثون * ليومٍ عظيم)

أقول : المسألة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ولكن الأمر كما قال الله تعالى : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [الحج : 46]

وقال – جل وعلا : (وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً)[الإسراء : 72]

وقال سبحانه وتعالى (أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) [الرعد : 19]

أكتفي بهذا القدر تجنباً للاطالة , وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د . عبد الله القرشي الشامي

1437هـ